الجيش الروماني من التطوع إلى الاحتراف والفرقة الأغسطية الثالثة

د. محمد الحبيب بشاري

قسم التاريخ- جامعة الجزائر 2

بنى الرومان عند تأسيس دولتهم في منتصف القرن الثامن قبل الميلادي جيشا، حمل في البداية لواء الدفاع عن روما. ولما استتبت لهم الأمور في سهل اللاتيوم، حولوه إلى جهاز توسع في أراضي شبه جزيرة إيطاليا، ثم حوض البحر الأبيض المتوسط وإخضاع كل الشعوب التي تعترض سبيلهم. وابتداء من القرن الثالث ميلادي شهدت روما تضاعف وتيرة التهديدات الخارجية، وانتشار الثورات وحركات التمرد، فعاد الجيش إلى الهدف الأول الذي أنشئ من أجله، وهو الدفاع عن أملاك الإمبراطورية الرومانية ومثل المؤسسات الرومانية الأخرى، كانت بداية المؤسسة العسكرية متواضعة، لكنها مع مرور الزمن تكيفت مع التطورات السياسية والإقليمية التي شهدتها روما.

لقد مر تنظيم الجيش الروماني بعدة مراحل، هي مرحلة العصر الملكي، عندما كانت روما دويلة من حيث لم تكن تجاوز مساحتها بعض الهكتارات وسكانها بعض الآلاف، وفي هذه المرحلة كان الجيش الروماني يقوم على الخدمة العسكرية الإجبارية لكل

المواطنين الرومان الذين تتراوح أعمارهم بين 17 و60 سنة، والقادرين على توفير عتادهم العسكري[1] المتمثل في رمح قصيرة (Hasti) للقتال عن قرب، ودرع دائرية (Clipeus) وزرد بالنسبة لميسوري الحال، بالاضافة إلى خوذة. لقد كان التجنيد يتم في بداية فصل الربيع*، حيث كانت القبائل الرومانية المعنية بتقديم الجنود تجتمع في الكابتول، ليتم انتقاء المعنيين بالتجنيد، وبعد الانتهاء من هذه العملية، يؤدي ترابنة** الجيش اليمين (Sacramentum) لقائد القوات، ومباشرة بعدها يؤدي لهم الجنود اليمين، ومن بين ما جاء في يمين الجندي : "...أن يتبع قادته لمحاربة أي عدو، وأن لا يتخل عن الراية، وأن لا يخالف القانون..."[2] وكان هذا الجيش يتكون من 3000 مقاتل من المشاة (Pedites)، و300 فارس (Equites أو Celeres)، يجندون من القبائل الثلاث المكونة للمجتمع الروماني على قدم المساواة، إذ تساهم كل واحدة بألف رجل وقائدهم (Tributummilitum)، ومائة فارس وقائدهم (Tributum celeres)، يكونون في النهاية فرقة (Legio). وبما أن التجهيز كان على كاهل المجند، اقتصر التجنيد على الذين تتوفر لديهم الإمكانيات** كانت الحرب في هذه المرحلة تبدأ في فصل الربيع وتنتهي في نهاية فصل الصيف أو بداية الخريف** نقيب (Tribunus plebis) ممثل طبقة العامة، يتمتع بصلاحيات واسعة منها حق اعتراض (Intercessio) أي قرار يصدر في مدينة روما وإقليما يصل إلى ميل واحد خارج حدود روما المقدسة (Pomoerium)، أو عن أي مسؤول

أثناء ممارسة السلطة، لا يأخذ بعين الاعتبار مصلحة طبقة العامة. كما اعتبرا مقدسين يتمتعان بحماية الإلهة كيرس، وبالتالي لا يمكن المساس بهما (Sacro-sanctus)، بالإضافة إلى تمتعهما بحق سفك دم كل من يتجاهل موقفهما.

المادية، وهم البطارقة وأتباعهم، وميسورو الحال من طبقة العامة[3].

كما خضع الدخول إلى أي حرب إلى قواعد صارمة لا يمكن الحياد عنها، منها :

- أن يتوفر سبب حقيقي لأي حرب (Casus belli) يخوضها الرومان، حتى تساندهم الآلهة

ولهذا كان يسبق كل حرب طقوس دينية، وقراءة الطالع من طرف قائد الجيش. وعند نهاية الحرب تقام احتفالات دينية أخرى، لتطهّر المدينة من العنف الذي شهدته جراء الحرب ولشكر الآلهة.

لا يمكن أن تجري الحرب داخل حدود روما المقدسة (Pomoerium)، ولهذا أقام الرومان ساحة إله الحرب مارس (Campus Martius)، ومعبد آلهة الحرب الرومانية بلون (Bellone) خارج هذه والحدود.

الجيش في العصر الجمهوري

تغيرت أوضاع روما السياسية والاقتصادية لروما في نهاية القرن السادس وبداية القرن الخامس قبل الميلادي، بعد أن أصبحت أول قوة في سهل اللاتيوم، ونتج عن ذلك تغير في تكوين جيشها،

حيث لم يعد التنظيم الذي ساد طوال قرنين ونصف تقريبا يستجيب لسياستها التوسعية من جهة، ورد التهديدات الخارجية من جهة أخرى، لذلك قامت بتغيير تركيبة جيشها، ويرجح أن ذلك يعود إلى الملك سرفيوس توليوس (Servius Tellius)، الذي أعاد تنظيم المجتمع الروماني، المتكون من البطارقة والعامة إلى خمس طبقات على أساس الثروة على الشكل الآتي :

• فئة الفرسان، وهي تقع خارج النظام الطبقي وتتكون من ذوي الدخل الذي يفوق الحد الأعلى المحدد من طرف سرفيوس توليوس، وتضم ثمانية عشر مئينا (Centurie).

- الطبقة الأولى، وتضم ذوي الدخل الذي لا يقل عن 100000 آس(As)

- الطبقة الثانية، وتضم ذوي الدخل الذي لا يقل عن 75000 آس.

- الطبقة الثالثة، وتضم ذوي الدخل الذي لا يقل عن 50000 آس.

- الطبقة الرابعة، وتضم ذوي الدخل الذي لا يقل عن 25000 آس.

- الطبقة الخامسة، وتضم ذوي الدخل الذي لا يقل عن 11000 آس.

ثم تأتي طبقة الفقراء، وتضم ذوي الدخل الذي يقل عن 11000 آس وتتكون من العمال والموسيقيين[4]. وعلى هذا الأساس أصبح الجيش الروماني يتكون من ثمانية عشر مئينا من الفرسان، وهم الذين بإمكانهم تجهيز أنفسهم بكل العتاد الحربي الضروري بما فيه الحصان، ثم تأتي الطبقات الخمس الأخرى، وهي بدورها

تنقسم إلى مجموعتين، المجموعة الأولى وتضم الطبقات الثلاث الأولى، وتكوّن فرق المشاة كاملة التجهيز، أو المشاة ثقيلي العتاد العسكري، ثم المجموعة الثانية وتضم الطبقتين المتبقيتين، وتكوّن المشاة خفيفي العتاد، وأخيرا مئينات الفقراء وتكوّن قطاعي الهندسة (Fabri) والموسيقى العسكريين (Tibicines)[5].

لقد استمر الجيش في التطور تبعا لامتداد الحدود الرومانية، واتساع نطاق الحروب التي كانت تخوضها روما، وقد كيّف الرومان جيشهم لمسايرة المستجدات التي واجهتهم. وفي هذا السياق، وحتى تتمكن من مواجهة خطر قبائل الإيكوي والفولسكي، رفعت من عدد مشاة الفرقة (Legio) من 3000 إلى 4000 مقاتل، وعدد الفرسان من 300 إلى 600، وفي نفس الفترة تبنت الأسلوب الإغريقي في الحرب القائم على تقسيم الجيش إلى كتائب(Phalange)[6].

لقد أظهر نظام التجنيد المنحصر في الفئات ذات دخل معين عجزه في الاستجابة لمستجدات الصراع الذي كانت تخوضه روما من حين إلى آخر، وتجلى ذلك في صراعها مع المدينة الإتروسكية فياي (Veies) بين سنوات 405 و396 ق.م. إذ أعاقها في توفير العدد الكافي من الجنود، مما دفع بالدكتاتور❖ كميل فوريوس (Camille M. Furius) إلى التخفيض من الحد الأدنى من النصاب المالي الذي يجب توفره لدى المواطن الروماني حتى يتمكن من الالتحاق بالجندية[7] وكذلك مضاعفة عدد الفرسان، بتوفير الدولة للملاك

الكبار نفقات اقتناء حصان وتكاليف العناية به، لذلك أطلق عليهم اسم "الفرسان ذوي خيول الدولة" (Equites equo publico)، كما انضم إليهم التجار الأثرياء، أصحاب الثروات المنقولة، بعد أن سمح لهم بالتطوع في الجيش كفرسان، بالاعتماد على إمكانياتهم الخاصة، لذلك سمّوا "الفرسان ذوي الخيول الخاصة"(Equites equo privato) أو (Equites equo suo)[8].

إلى جانب توفير الخيول، وجدت الدولة نفسها مضطرة إلى تموين الجيش بالمواد الغذائية، ودفعها مرتبات ؛ ولو ضعيفة ؛ للجنود بسبب انقطاعهم عن نشاطهم الاقتصادي مدة زمنية طويلة لتواجدهم في جبهات الحرب، بعيدا عن أوطانهم، على أن يستقطع من هذه❖ تبنى الرومان لنظام حكم قائم على القنصلية، الذي يتولى فيه السلطة قنصلين بمعنى الزميلين(Consules) على قدم المساواة لتجنب استبداد شخص واحد بالسلطة، كما حددوا مدة الحكم بسنة واحدة، وحق الاعتراض لكن وفي حالات استثنائية كان القنصلان بناء على مشورة السناتو يعينان حاكما مطلقا يمارس سلطتهما بمفرده لمدة أقصاها ستة أشهر، سمي في أول الأمر حاكم الشعب(Magister populi)ثم تغير وأصبح يسمى الدكتاتور (Dictator) الرواتب ثمن العتاد العسكري واللباس الذي توفره لهم. فكان هذا القرار بادرة لقيام الجيش الاحترافي الذي ستؤسسه روما في نهاية القرن الثاني قبل الميلادي.

بالإضافة إلى ذلك رفعت عدد الجنود الشباب (Juniores)، الذين تتراوح أعمارهم بين 17 و45 سنة إلى 6000 مقاتل[9]، إلى جانب تجنيد 6000 مقاتل من الاحتياطيين (Seniores)، الذين تتراوح أعمارهم بين 46 و60 سنة توكل إليهم عادة مهمة الحراسة، وتأمين مدينة روما.

كما أدخلت روما تغييرا جديدا على جيشها بعد الهزيمة الفادحة التي لحقت بها في معركة آليا أمام الغاليين سنة 387 ق.م.، ورفعت من عدد المشاة ليبلغ 8400 مقاتل موزعين على فرقتين، ونفس العدد بلغه الإحتياطيون المرابطون، كما رفعت من عدد الفرسان إلى 1800[10].

إن هذا التطور يبرز مدى استجابة روما للتحديات التي كانت تواجهها في توسعاتها، والتكيف مع الأوضاع الجديدة التي كانت تعترض طريقها. لكن نظرا لعدم مهارة فرسانها في جبهات القتال، لجأت ؛ بعد أن توسعت ؛ إلى حلفائها في تكوين كتائب الخيالة وعلى رأسهم النوميديين والموريين.

لقد استمرت وتيرة رفع عدد الجنود، حيث لم ينته القرن الرابع الميلادي حتى وصل عدد الفرق إلى أربعة، تعداد كل واحدة يفوق 4000 مقاتل. لكن إصلاحات الديكتاتور كاميل لم تحل مشكلة التجنيد بصفة نهائية، لذلك عمدت السلطة أكثر من مرة إلى تخفيض النصاب المالي الضروري الواجب توفره لدى المجند، حتى أنها جندت في بعض الأوقات مواطنين

معدمين كلية. استمر الوضع على هذا الحال حتى الربع الأخير من القرن الثاني قبل الميلادي، حين أصدر كايوس غراكوس (Caius Sempronius Gracchus) لذي انتخب اتربيونا للعامة قانون الجيش (Lex militaris)[11]، لحل مشكلة توفير العدد الكافي من الجنود عند الضرورة، جاء فيه :

- ألاّ يقل سن المجندين عن السابعة عشر عاما.

- أن توفر الحكومة للمجندين اللباس والسلاح دون مقابل.

إن كل الإصلاحات التي عرفها الجيش الروماني كانت ظرفية، لذلك كان على السلطة في كل مرة اتخاذ قرارات جديدة لتجنيد العدد الكافي من الجنود، حتى وصل إلى القنصلية القائد ماريوس (C. Marius) سنة 107 ق.م. في وقت تورطت فيه روما في مستنقع حرب نوميديا بقيادة الملك يوغرطه وقد وعد ماريوس بإنهاء هذه الحرب المهينة لروما حسبه، لا سيما أنها كشفت نقائص الجيش الروماني من جهة، وعيوب قادته من جهة أخرى. ولأن تحقيق هذا الوعد يتطلب مضاعفة عدد الجنود، أصدر ماريوس قرارا ألغى بموجبه كل التقاليد الرومانية في مجال التجنيد، والمتمثلة في انحصار العملية في ملاك الأراضي من المواطنين الرومان، الذين يوجدون ضمن الطبقات الخمس الأولى التي يحددها الإحصاء، بحيث نص القرار على فتح باب الجندية لكل المواطنين الرومان الذين يرغبون في ذلك حتى الفقراء منهم، ومنحهم رواتب ومدهم

بالعتاد العسكري[12] وبذلك انتقل الجيش الروماني من التجنيد الإجباري إلى جيش احترافي، تتحمّل الدولة أعباءه[13].

إلى جانب الاحترافية شملت إصلاحات القائد ماريوس العسكرية، رفع عدد جنود كل فرقة، حيث وصل إلى 6000 مقاتل، ينتظمون في عشر كتائب (Cohorte)، هي كتيبة الصف الأول (Hasti)، وكتيبة الصف الثاني (Princepes)، وكتيبة الصف الثالث (Triari)، وتتألف كل كتيبة من ثلاث فصائل. وبالنسبة للفرسان رفع عددهم إلى ألف فارس مع الاعتماد على فرسان الشعوب الخاضعة لهم مثل النوميديين[14].

وفي مجال التسليح وقع توحيده، فأصبح الرمح والسيف القصير سلاح الجندي في حالة الهجوم.

إن هذا التطور دفع بالكثير من الرومان والمؤرخين إلى القول أن الجيش الروماني انتقل من جيش الأثرياء إلى جيش الفقراء، بسبب انضمام أعداد كبيرة من المحرومين إليه طمعا في الراتب والغنائم.

لقد كان لهذا التطور نتائج خطيرة على مستقبل الدولة الرومانية، بحيث أصبح قادة الجيش يتحكمون في زمام الأمور السياسية، يعينون من يريدون من الحكام ويقيلون من يريدون، بعد أن انتقل ولاء الجنود من الدولة والوطن إلى القادة، ولم تعد تحركهم الوطنية بل البحث عن المكاسب المادية، حتى أصبحوا أقرب إلى المرتزقة منهم إلى الوطنيين[15].

الجيش في العصر الإمبراطوري

لقد كان لإصلاحات ماريوس العسكرية نتائج خطيرة على مستقبل روما واستقرارها السياسي والاجتماعي، بعد أن أصبح الجنود يدينون بالولاء لقادتهم، وينفذون أوامرهم، ولو كانت ضد روما والسلطة الرسمية[16]، ويتجلى ذلك جليا في بداية القرن الأول قبل الميلاد عندما تجرّأ القائد صيلا على اجتياز السور المقدس (Pomoerium) لمدينة روما على رأس جيشه واستولى عليها، مما أدخلها في حرب أهلية بينه وبين ماريوس. وما أن انتهت هذه الحرب حتى تبعتها أخرى بين يوليوس قيصر وبومبي في هذه المرة، ثم بين أوكتافيانوس (أغسطس) وأنطونيوس.

لقد تمخض عن هذه الصراعات تجنيد كل زعيم لآلاف الجنود، ففي سنة 31 ق.م. بلغ عدد الفرق العسكرية ما بين 71 و76، منها بين 41 و45 لأوكتافيانوس و31 لأنطونيوس، مما يعني أن عدد الجنود الإجمالي بلغ حوالي 450 ألف مقاتل.

لكن ما أن انتهت الأمور لصالح أوكتافيانوس حتى أعاد تنظيم الجيش، حيث سرّح أكثر من نصف المجندين، ولم يحتفظ إلا بحوالي 28 فرقة أي ما يقدر بحوالي 150 ألف جندي، بالإضافة إلى نفس العدد بالنسبة للوحدات الإضافية (Auxiliaires)، مما جعل العدد الاجمالي للجنود يصل إلى حوالي 300000 [17]، ومن مجموع الفرق قام أوكتافيوس بنشر 25 فرقة في مقاطعات الإمبراطورية[18]. وأعاد أغسطس تنظيم الجيش وفق ميثاق عسكري (Condicio militiae) حدد فيه واجبات وحقوق المجندين ومن بين ما نص عليه :

1) تحديد مدة الخدمة العسكرية بإثنتي عشر سنة للمجندين في الوحدات البرايتورية وستة عشر سنة بالنسبة للمجندين في الفرق، ثم مددت مدة العمل في هذه الأخيرة إلى عشرين سنة.
2) حق الدولة الإحفاظ بالمجندين حتى بعد انتهاء مدة خدمتهم عند الضرورة.
3) حق الدولة في إعادة استدعاء الجنود المسرحين عند الضرورة القصوى.

أما بالنسبة لحقوق الجنود فتتمثل في :

1) الحصول على راتب سنوي
2) استفادة الجنود بعد انقضاء مدة خدمتهم العسكرية من منحة تقاعد أو قطعة أرض. بالإضافة إلى بعض الامتيازات الأخرى[19].

ونظرا لاستقرار الأوضاع السياسية، لم يتغير عدد الفرق إلا بشكل ضئيل فقد تراوح عددها بين نهاية القرن الأول قبل الميلادي وبداية القرن الثالث الميلادي، في عهد الأسرة السيفيرية بين 28 و33 فرقة، لكن هذا العدد شهد ارتفاعا محسوسا، في أواخر القرن الثالث الميلادي، على يد الإمبراطور ديوقلسيانوس إذ وصل إلى 53 فرقة [20].

لقد وضعت كل فرقة تحت إمرة قائد (Legatus) ينوب عن الإمبراطور القائد الأعلى للجيش باستثناء الفرقة الأغسطية الثالثة (Legio III augusta) المتمركزة في إفريقيا، والتي خضعت في البداية إلى بروقنصل إفريقية[21].

إلى جانب التطورات سالفة الذكر عرف الجيش الروماني تطورا جوهريا من حيث تركيبته البشرية فحتى نهاية القرن الأول ميلادي، انحصرت عملية تكوين الفرق في المواطنين الرومان، وبصفة خاصة سكان شبه جزيرة إيطاليا، فقد كانت نسبتهم تفوق الثلثين، بينما كان الثلث المتبقي يأتي من المقاطعات الأكثر رومنة مثل اسبانيا والناربونيس (Narbonnaise)، في حين استمر الاعتماد على سكان المقاطعات من الأهالي في تكوين الوحدات الإضافية[22]. وبسبب عزوف الإيطاليين على الانخراط في الجيش، لجأ الإمبراطور فسباسيان (Vespasien) إلى المقاطعات لتكوين الفرق العسكرية[23] وخاصة الحدودية منها، مثل المقاطعات الجرمانية في الشمال والإفريقية في الجنوب، مع احتفاظ المواطن الروماني بالقيادة على كل المستويات، وكذلك احتكارهم للوحدات البرايتورية[24]. ويبرز الجدول الآتي تطور التركيبة البشرية للفرق :

الفترة	إيطاليا	إسبانيا	آسيا	سوريا	إفريقيا	دلماسيا	جرمانيا	الدانوب
أغسطس/ كاليغولا القرن الأول ميلادي	207	43	50	114	07	00	00	0
هادريان/ القرن الثاني	17	34	21	779	7786	556	335	386

يستنتج من هذا الجدول أن مساهمة الإيطاليين في تكوين الفرق العسكرية انخفض من 61.7 في المائة في بداية القرن الأول ميلادي إلى 1.8 في المائة في القرن الثاني ميلادي، بينما سجّلت مقاطعات اسبانيا وغالة وآسيا انخفاضا ضئيلا، في نفس الوقت ارتفعت مساهمة المقاطعات الحدودية وخاصة مقاطعات الدانوب والراين وتراقيا بنسة 39 في المائة والمقاطعات الإفريقية بنسة 55 في المائة [25]، وبذلك زال الفرق بين الفرق والوحدات الإضافية من حيث تكوينهما البشري.

وما ساعد على هذا التطور بالإضافة إلى عزوف المواطنين الرومان الإنخراط في الجيش سعي سكان المقاطعات إلى تحسين مستوى معيشتهم، خاصة أن السلطة كانت تمنح كل مجند حق المواطنة الرومانية عند الانتهاء من الخدمة العسكرية [26].

لقد كان غرضالأباطرة من وراء إدماج أبناء المقاطعات في الفرق العسكرية بالإضافة إلى عزوف الايطاليين عن الانخراط في الجدية، إبعاد الجيش عن السياسة، لكن هذا الهدف لم يتحقق، فقد استمر القادة العسكريون يتحكمون في زمام الأمور، يعزلون من يريدون ويعينون من يلبي مطالبهم ويبرز ذلك جليا فيما عرف بعهد الفوضى العسكرية التي دامت أكثر من نصف قرن، إذ بدأت مع نهاية الأسرة السيفيرية واستمرت حتى ارتقاء الإمبراطور ديوقلسيانوس العرش في نهاية القرن الثالث الميلادي. وهي الفترة التي تميزت بعدم الاستقرار

السياسي، حيث توالى على العرش الروماني العديد من الأباطرة، لم يحكم بعضهم أكثر من بعض الأسابيع، وأكثر من ذلك وجد في بعض الفترات أكثر من إمبراطور في نفس الوقت.

لقد نتج عن هذا الوضع تردي الحالة الاقتصادية والاجتماعية للسكان، وانعدم الأمن، إلى جانب تضاعف التهديدات الخارجية، ولم يعد الاستقرار إلا بعد تولي ديوقلسيانوس العرش الذي عمل على إصلاح الوضع، بسنه النظام الرباعي وإدخال إصلاحات على الميدان العسكري تمثلت في :

- رفع عدد الجنود بنسب اختلفت من مؤرخ إلى آخر، فقد حددها المجادل الإفريقي لاكتانس (Lactance)، والذي عاصر ديوقلسيانوس بأربعة أضعاف، في حين حددها وليام سيستون (W. Seston) بالربع[27]، لكن الشيء المؤكد أن عدد الجنود ارتفع بشكل محسوس، حيث وصل إلى حوالي 450000، موزعين على 53 فرقة، ونظرا إلى تقلص عدد المتطوعين في الجيش، لجأت السلطة إلى تحويل المهمة العسكرية إلى حرفة وراثية، وبذلك أصبح أبناء الجنود من الفرق والوحدات الإضافية ملزمين بالإنخراط في الجيش (Ex-castris)، مقابل استفادتهم من أراض زراعية، كما زاد اعتماد السلطة على البرابرة في المجال العسكري كما فرض ضريبة جديدة على الملاك الكبار تتمثل في تقديم مجند أو أكثر[28]. وكذلك :

- دعم الحدود بمراكز دفاعية قوية.

- دعم أسطول الدانوب والراين.

- إقامة مراكز دفاعية على الشواطئ لوضع حد للقرصنة.

وبذلك اختلف عدد الفرق العسكرية من فترة إلى أخرى[29] كما يبين ذلك الجدول الآتي :

السنة	الإمبراطور	عدد الفرق	حجم الفرق
30 ق.م.	أغسطس	28	6000 جندي
6 م.	//	26	//
23 ق.	تيبريوس	25	//
83 م.	دومسيان	30	//
98	تراجانوس	29	//
138	هادريانوس	28	//
190	ماركوس أورليوس	30	//
211	سبتموس سيفيروس	33	//
284	ديوقلسيانوس	53	3000 /2700

كما تباين توزيع الفرق في العصر الإمبراطوري، إذ كان عددها مرتفعا في المناطق غير المستقرة مثل الدانوب ومنخفضا في المناطق المستقرة، وذلك ما يؤكده الجدول التالي :

المنطقة	عدد الفرق	عدد الجنود	المقاطعة
الراين	4	40000	جرمانيا العليا
الدانوب	12	130000	بانونيا العليا والسفلى، ميسيا (Mesie) السفلى والعليا وداكيا (Dacie)
الشرق	10	110000	كابدوكيا، بلاد الرافدين، بارثيا، سوريا، فلسطين، العربية،
مصر	1	11000	مصر
إفريقية	1	30000	نوميديا (لامباز)
بريطانيا	3		
إيطاليا	1		

الفرقة الأغسطية الثالثة :

تمثّلت مهمة الجيش الروماني في العصر الجمهوري، في توسيع حدود الدولة الرومانية، وذلك بالقضاء على كل دولة منافسة لها، واحتلال أراضيها، أو قوة مهددة لمصالحها، وبصفة عامة كانت مهمة الجيش هجومية. استمر ذلك في العهد الامبراطوري الأول،

لكن الأمور تغيرت في العصر الإمبراطوري الثالث (ابتداء من نهاية القرن الثالث ميلادي) أصبحت مهمته دفاعية بحتة ولهذا انسحب من المناطق التي يصعب الدفاع عنها، وتموقع في أماكن يسهل الاحتفاظ بها والدفاع عنها وبالنسبة لمنطقة المغرب القديم، أوكلت مهمة الدفاع عن المصالح الرومانية إلى فرقة عسكرية واحدة تتمثل في الفرقة **راية الفرقة الأغسطية الثالثة** الأغسطية الثالثة (Legio III augusta)، تتكون من من عشر كتائب (Cohorte) تضم كل واحدة منها ست مئينات (Centurie). وبصفة عامة تتكون الفرقة الأغسطية الثالثة من 6000 مقاتل. وبذلك نستنتج أن الفرقة الأغسطية الثالثة كانت تكون القوة الضاربة والدرع الواقي للوجود الروماني في المغرب القديم، من طرابلس شرقا إلى موريطانيا غربا(30) وقد عرفت بأسماء عديدة منها" جيش إفريقية" (Exercitus Africae) و"جيش مقاطعة إفريقية" (ae Exercitus provincaea afric)، وكذلك و(Legio III augusta et exercitus africanis) ويستدل من اسمها أن تأسيسها يعود إلى الإمبراطور أغسطس، الذي بعد تسريحه للجيوش التي ساهمت في الحرب الأهلية، احتفظ بفرقتين لتأمين المقاطعات الإفريقية، لكن لم يبق في سنة 6 م. إلا فرقة سنة 6 م. إلا فرقة واحدة، هي الفرقة الأغسطية الثالثة[31]، التي اختيرت حميدرة (Ammaedara، حيدرة) التي تتوسط بلاد الموسلاميين التي شهدت في بداية القرن الأول ميلادي ثورة القائد النوميدي تاكفرناس[32] كأول مركز لها، وهذا لأهميتها الاستراتيجية، حيث تلتقي فيها عدة

طرقات مهمة منها الطريق القادمة من قرطاجة بالشمال الشرقي وقابس وقفصة وطرابلس من الشرق، ومن منطقة الأوراس القريبة منها، والتي تستوطنها قبائل صعبة المراس دائمة الثورة، لم تخضعها روما بعد بالإضافة إلى حماية إقليم كيرتا في الشمال، ومقاطعة البروقنصلية في الشرق من خطر الأهالي المنطلقين من المناطق الجنوبية والجبلية المجاورة[33]. وفي سنة 75م. حول الإمبراطور فسباسيان (Vespasianus) مركزها إلى تيفست (تبسة)[34]، ومنها انتقلت الفرقة إلى لامباز، أين بقيت حتى نهاية القرن الثالث الميلادي.

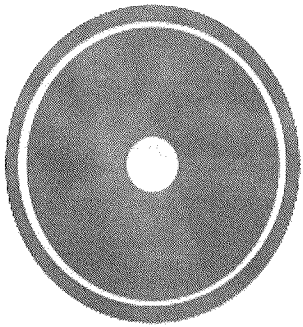

راية الفرقة الأغسطية الثالثة

إلى جانب مقرها الأساسي كان للفرقة الأغسطية الثالثة عدة مواقع تتمركز فيها كتائب تابعة لها مثل مركز أد مايورس (Ad majores، هنشير بسرياني) وفزايفي(Vazaivi، عين زوي)، وفي هنشير الحمام وبو نجم وغيرها[35].

وفي سنة 238م. حلت هذه الفرقة من طرف الإمبراطور غورديان الثالث، بسبب الموقف المعادي الذي اتخذته من غورديان

الأول والثاني، ووقع تشتيت أفرادها على مختلف الفرق الرومانية الأخرى، لكن الإمبراطور فالريان (Valerianus) أعاد تكوينها سنة 253م[36]. وأعادها إلى لامباز مركزها السابق[37].

وقد لعبت الفرقة الأغسطية الثالثة دورا مهما في الدفاع عن الوجود الروماني في المقاطعات الرومانية بالمغرب القديم، منها القضاء على ثورات النوميديين والموريين، وكذلك التصدي لحركات التمرد التي كان يقودها من حين إلى آخر حكام المقاطعات أو القادة العسكريون، فهي التي تصدت لثورة تاكفرناس بين سنوات 17 و24م. بمنطقة الموسلاميين بالجنوب الشرقي لنوميديا. كما تصدّت لتمرد لوكيوس كلودس ماكر (L.Clodius Macer) سنة 68م. الذي تمرّد على الامبراطور نيرون، وحاول منع وصول القمح الافريقي إلى روما. بالاضافة إلى ذلك قامت بعمليات عسكرية ضد قبائل الغرامنتيين سنة 71م، وضد قبائل الناسمونس، وغيرها من النشاطات العسكرية في داخل المقاطعات الإفريقية، لكن مساهمتها خارج هذا الإطار محدودة جدا، حيث ساهمت في الحملات العسكرية ضد قبائل الجرمانية الماركوماني (Marcomans) والكواد (Quades)[38]، في منطقة الدانوب كما أرسلت إحدى كتائبها سنة 190م. للمشاركة في الحرب ببلاد الرالفدين، وكذلك في سنة 216م. حيث أرسلت وحدة تابعة لها للمشاركة في الحرب الرومانية ضد البارثيين[39]، وهذا ما جعلها تحظى بزيارة الامبراطور هادريانوس في أول جويلية 128م. في مقرها

لامباز وألقى أمام الجند خطابا هنّأ فيه الجنود على ما قدّموه للإمبراطورية، ومن بين ما جاء فيه :

"... أعرف أنكم مشتتين في كل الجهات لحماية المقاطعة، وأنكم غيرتم مقركم مرتين منذ نصف قرن، وبينتم مرتين مركزكم وأنكم أظهرتم صرامة شديدة..." [40]

بالإضافة إلى جانب نشاطها العسكري ساهمت الفرقة في أوقات السلم في إنجاز الكثير من المشاريع المدنية والعسكرية، وقد بلغ عدد هذه المنجزات 75 مشروعا مؤكدة بنقوش، منها فتح طريق يربط حميدرة بمدينة تكاب (Tacape، قابس) سنة 14م.[41]، وهي الطريق التي قطّعت أوصال قبائل الموسلاميين، وحرمت جزءا منها من مراعيهم الموسمية، وأدت إلى ثورة تافرناس وطريق تبسة قرطاجة سنة 128م.[42]، وبناء الجسور مثل جسر شمتو [43]. كما ساهمت في انجاز قنوات نقل المياه، مثلما حدث سنة 13م. عندما كلّفت نونيوس داتوس (Nonius Datus) أحد مهندسيها[44] للإشراف على بناء قناة نقل المياه لتموين مدينة صالداي (بجاية)، استجابة لطلب حاكم مقاطعة موريطانيا القيصرية بيترونيوس كيلر(Petronius celler)[45]. إلى جانب كل هذا بنى عناصر الفرقة الأغسطية الحمامات والأحواض والمدرجات، بالاضافة إلى مساهمتها في نشر اللغة اللاتينية، بحيث كانت اللغة المستعملة من طرف الإدارة العسكرية، مما أجبر السكان الأصليين الذين انضموا إلى الجيش إلى تعلمها.

إلى جانب الفرقة الأغسطية الثالثة، وجدت في المغرب القديم عدة كتائب متكونة من الأهالي، تحتل فيها كتائب الفرسان مكانة متميزة نظرا لمهارة الأفارقة في ركوب الخيل، ومن هذه الكتائب يمكن ذكر :

الكتيبة الأولى الفلافية الإفريقية (Cohors I Flavia Afrorum)[46].

الكتيبة الأولى للكالكيدونيين (I cohors de Chalcidonien)[47].

الكتيبة الثانية لتراقيا (II cohors de Thrace)[48].

الكتيبة الثامنة للوزتانيين (VIII cohors de Lusitanien)

الكتيبة الاسبانية (Cohors Hispanorum)[49]

بالإضافة إلى هذه الكتائب وجدت وحدات أخرى منها :

وحدة (جناح) الاستطلاع لبوماريا (Alae exploratoresPomarienses)

وحدة (جناح) أميوروم (Ala Amiorum)[50]

الوحدة الفلافية (Ala Flavia)[51]

الوحدة النوميدية (Ala Numidica)[52]

وقد انحصر التجنيد في الفرقة الأغسطية الثالثة وغيرها من الفرق في البداية في المواطنين الرومان والإيطاليين، لكن الأمور تغيرت فيما بعد، وأصبح أغلب عناصرها من الأهالي، حتى أن نسبتهم تجاوزت ؛ في القرن الثاني ؛ 60 بالمائة، وفي القرن الثالث 93

بالمائة، كما وجدت وحدات إفريقية في أماكن عديدة من الإمبراطورية منها سوريا وغالة وإيطاليا.

لقد كانت الفرقة الأغسطية الثالثة عند إنشائها تحت سلطة بروقنصل إفريقية، الذي كان يعين كل سنة من طرف مجلس الشيوخ، لكن الإمبراطور كاليغولا تخوف من وجود قوة خارج سلطته فقام سنة 37م. بسحب قيادة هذه الفرقة من البروقنصل وأسندها إلى قائد يعينه مباشرة [53].

يتضح مما سبق أن الجيش الروماني تطور تطورا مناسبا لتطور الدولة الرومانية واستجابة لمقتضيات كل عصر، فقد انتقل من جيش من المتطوعين ينحصر في المواطنين الرومان يلتحقون بالجندية عند الضرورة القصوى أي عندما تكون روما مهددة ثم يعودون إلى نشاطاتهم اليومية، كما ارتكز هذا الجيش على فئة المزارعين، وقد سمحت تقاليد قيام الحروب في فصل الحرارة بذلك، حيث كان المزارع يحرث ويبذر ثم يتوجه إلى الحرب، ليعود إلى أرضه مع نهاية الصيف أو بداية فصل الخريف ليحصد محصوله. لكن تطور الأوضاع السياسية وخروج روما من سهل اللاتيوم وضمها كل أراضي شبه جزيرة إيطاليا واصطدامها بالدولة القرطاجية غير كل المعطيات، فالحروب البونية الثلاث التي خاضتها دامت سنوات عديدة، مما جعل الاعتماد على جيش من المتطوعين لم يعد يساور الوضع، فبدأ التفكير في إقامة جيش احترافي، وهو ما قام به القائد

ماريوس استجابة للحرب الرومانية في نوميديا ضد الملك النوميدي يوغرطة. وأمام عزوف المواطن الروماني على الانضمام إلى الجيش وجدت روما نفسها مجبرة على التوجه إلى أبناء المقاطعات ؛ الذين كانوا يكونون الوحدات الإضافية (Auxiliaire) ؛ لتكوين فرقها العسكرية، وبذلك توسعت قاعدة التجنيد التي لم تعد تنحصر في المواطنين الرومان بل شملت شعوبا عديدة وخاصة الفرسان المغاربية لما تميزوا به من مهارة فائقة على ركوب الخيل والمناورة. مما جعل عددهم يرتفع في الفرق بشكل محسوس.

كما أن مساهمة المغاربة في الجيش الروماني لم تنحصر في دور الجندي، بل تجاوز ذلك إلى قيادة الجيوش، مثل القائد لوكيوس كيتوس (Lucius Quietus)، الذي ساهم بدور كبير في انتصارات روما في الشرق في عهد الإمبراطور تراجانوس، حتى أنه جسّده في العمود (Colonne de Trajan) الذي خلّد بواسطته حروبه في الشرق وخاصة في داكيا (Dace)، ونظرا لإعجابه به كاد أن يورثه العرش الروماني لولا دسائس زوجته وهادريانوس، وكذلك القائد كنتوس لوليوس أوربنيكوس (Quintus Lollius Urbanicus)، دون أن ننسى قيادة جيلدون الجيش الروماني في المقاطعات الإفريقية.

الهوامش :

1) Salles (C) L'antiquité romaine, des origines à la chute de l'empire, edit.Larousse, 1993, p., 151
2) Grimal (P), La civilisation romaine, edit., Artaud, Paris, 1987, p., 127

3) نصحي (إبراهيم)، تاريخ الرومان، ج، 1، ص، 99

4) Fredouille (J.C), Dictionnaire de la civilisation romaine, edit., Larousse, 1976, p., 35 ; 52
5) Salles (C), loc cit.
6) Fredouille (J.C.), op cit, p., 35
7) Salles(C), loc cit

8) نصحي (إبراهيم)، المرجع السابق، ص. 159/160.

9) Salles (C.), loc cit

10) نصحي (إبراهيم)، المرجع السابق، ص. 160.

11) Plutarque , Vie de C.Gracchus trad. D. Ricard, Paris, 1883, lib,. V 12 (Salluste, Guerre de Jugurtha, traduction de Fr. Richard, Paris, Garnier, 1933, 84
13) Homo (L), Nouvelle histoire romaine, edit., Marabout, Paris, 1979, p., 198

14) Fredouille (J.C.), loc. cit

15) حسين الشيخ، الرومان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دون تاريخ، ص، 127

16) Homo (L), op cit, p., 199
17) Petit (P), Histoire generale de l'empire romain, II, La crise de l'empire, edit. Seuil, 1974, p., 36.

18) حسن الشيخ، المرجع السابق، ص، 129

19) Homo (L), op cit, p., 235
20) Petit (P) Histoire générale de l'empire romain, t., III, le bas empire, edit. Seuil, 1974, p. 23
21) Ibid, t. II, p., 37
22) Ibid, t., I, p., 208
23) Rostovtzeff M.I. Histoire economique et sociale de l'empire romain, edit.Robert Laffont, Paris, 1988, p., 91/91
24) Ibid, p., 107
25) Petit (P), op cit, p., 208

26) حسين الشيخ، المرجع السابق، ص، 129

27) Seston (W), Diocletien et la tetrarchie , I, Guerres et reformes, Paris, 1946, pp., 298/300
28) Ibid, p., 300 ; Petit (P), op cit, t., III, p. 25
29) Petit (P), op cit, t.II, pp., 209/210
30) Cagnat (R), L'armée romaine et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, t. I, edit. Imprimerie nationale, Paris, 1913, p., 141

31) Ibid, p., 140
32) Tacit, Annales, trad. J. Poucet, Louvain, 2001, II, 52
33) جوليان (شارل أندري)، تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي والبشير سلامة، الدارالتونسية للنشر، تونس، 1969، ص، 192
34) Mommsen (Th), Hisoire romaine, livre V, trad. C.A. Alexandre, edit. R.Lafont, Paris, 1988, p., 943
35) Petit (P), op cit, t. II, p., 169
36) Cagnat (R), op cit, p., 361
37) C.I.L., VIII, 18072
38) Cagnat (R), L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, Paris, 1913, p, 152
39) Ibid, p, 154
40) I.L.S., 2487
41) C.I.L.VIII, 10018; 10023 ; Cagnat (R), op cit, p., 141
42) C.I.L.VIII, 10048 ; Cagnat (R), op cit, 363
43) C.I.L.VIII, 10117 ; Cagnat (R), loc cit
44) C.I.L.VIII., 2728 ; 18122 ; Cagnat (R), Musée de Lambese, 1895, pp., 67/71 pl.VI, f., 1 ; Laporte (J.P.), Note sur l'aqueduc de Saldae, Africa Romana, n° 11, 2, 1994, pp. 739/40
45) Birebent (J), Aquae romanae, Recherches d'hydraulique romain de l'est algerien, Service des antiquités de l'Algerie, 1962, p., 469; Le Bohec (Yan), L'armée et l'organisation de l'espace, Africa romana, n° 11, 3, 1994, pp., 1393/1395
46) Benseddik (N), Les troupes auxiliaires de l'armée romaine en Mauretanie Cesarienne sous le haut empire, edit. SNED, Alger (sans date), p., 31
47) C.I.L., VIII, 17586 ;17589
48) Benseddik (N), op cit, p., 43
49) Cagnat (R), op cit, p, 203
50) C.I.L.VIII, 10654
51) C.I.L.VIII, 4510; 17633; 21429
52) C.I.L.VIII, 388